مختصر كتاب

مَسَالِكُ التَنمِيةَ المُرَكّبة

الأُنموذَجُ الياباني والمستَقبَلُ العَربيُّ

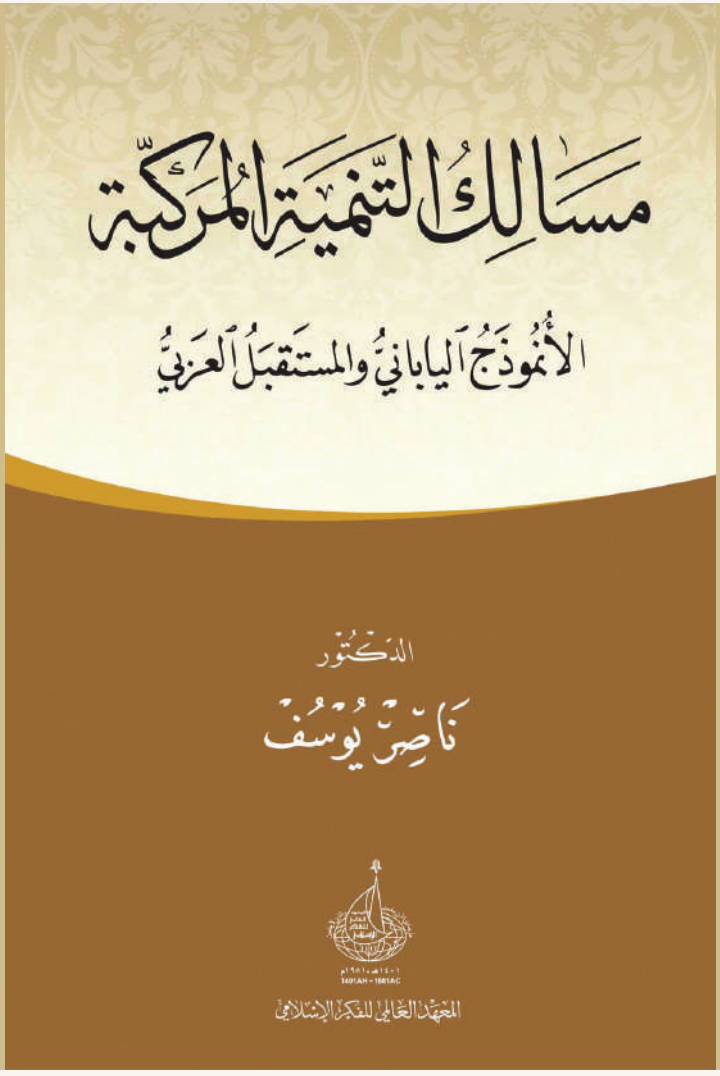

سلسلة مختصرات الكتب

مختصر كتاب

مسالك التنمية المركَّبة

الأنموذج الياباني والمستقبل العربي

ناصر يوسف

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
INTERNATIONAL INSTITUTE OF ISLAMIC THOUGHT
المعهد العالمي للفكر الإسلامي

© المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هرندن - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية
الطبعة الأولى ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

مسالك التنمية المركَّبة: الأنموذج الياباني والمستقبل العربي
تأليف: ناصر يوسف

موضـــوع الكتـاب:

١- التنمية	٢- التنمية البشرية
٣- التنمية الاقتصادية	٤- مسالك التنمية
٥- المعادلة الحضارية	٦- نموذج ميجي

ردمك (ISBN) : ٧-٢٣٥-٨٩١٩٣-٨-٩٧٩ [النسخة الورقية]
ردمك (ISBN) : ٤-٢٣٦-٨٩١٩٣-٨-٩٧٩ [النسخة الإلكترونية]

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٧/٧/٣٣٨١)

جميع الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي مسبق من المعهد.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

The International Institute of Islamic Thought
P. O. Box: 669, Herndon, VA 20172 - USA
Tel: (1-703) 471 1133, Fax: (1-703) 471 3922
www.iiit.org/ iiit@iiit.org

مكتب الأردن - عمان
ص.ب ٩٤٨٩ الرمز البريدي ١١١٩١
هاتف: ٩٦٢٦٤٦١١٤٢١+ فاكس: ٩٦٢٦٤٦١١٤٢٠+
www.iiitjordan.org

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد لا تعبّر بالضرورة عن رأيه وإنما عن آراء مؤلفيها واجتهاداتهم

المحتويات

القسم الأول: الفكرة

الفصل الأول

الدراسات السابقة وأدبياتها الفكرية والإنمائية: رصدٌ ونقدٌ لمصطلح المركَّب ٥

الفصل الثاني

ترسيمة البنيان المرصوص: السلطة والنخبة والعامة ١١

الفصل الثالث

مسالك التنمية المركَّبة ومؤشِّراتها ١٩

القسم الثاني: الواقع

الفصل الرابع

التنمية المركَّبة: تحليل سيميائي تربيعي ٢٩

الفصل الخامس

عناصر التنمية اليابانية المركَّبة: الدولة والإنسان والأرض والوقت ٣٧

القسم الأول: الفكرة

الفصل الأول

الدراسات السابقة وأدبياتها الفكرية والإنمائية
رصدٌ ونقْدٌ لمصطلح المركَّب

"إنّ الصراع الفكري، تجري عليه قاعدة الشيء المركَّب من أشياء."

[مالك بن نبي]

مدخل:

نحرص في هذا الفصل على استحضار ما وقعت عليه آلة البحث لدينا، ومما هو مبسوط في الكتابات التي أشارت إلى مصطلح المركَّب.

أولاً: التنمية البشرية المستدامة

بادٍ، أنّ التنمية البشرية هي خليط من المذهبيات الاقتصادية، تهدف إلى الربح وتحقيق المزيد من النجاح. وإنّ تحصيل الربح من مهارات البشرية هو من أولوية التنمية البشرية، أما تعزيز مهارات الإنسان في ذاتها فهو أمر ثانوي، لاسيما أنّ هذا الإنسان قد لا نلفيه ماهراً في إدارة بيته ومع جيرانه وأصدقائه ومجتمعه، ولكن نجده ماهراً في شركته؛ فهناك حافزٌ ماديٌّ يدفعه إلى ذلك.

توغِل إيديولوجية التنمية البشرية في التفكيك الممنهج للبشر ابتداء من الأسرة؛ إذْ تسرق الشخص من أسرته فينشغل عنها أو يكتسب قيماً بشرية جديدة وغريبة على أسرته. إنّ مزيداً من البشر يعني المزيد مخندمة المنتفعين.

ثانياً: التَوْنَمَة

جئنا بالتوْنمَة على وزن عولمة، وهي أعقد من العولمة نفسها؛ لأنّ التونمة تقوِّي حجتها بالتنمية البشرية المستدامة مقرونة بالتنمية الشاملة بما فيها المعرفة وقيم الحرية؛ إذ تشكّك التونمة في الأفكار والتصورات التي اعتادت أنْ تراها تقليدية في بلد يحرص على الاحتفاظ بهويته الإنمائية، ثم تعمل على تفكيكها وتركيبها وفق مذهبياتها. إنّ التونمة هي هوية تنميات اجتمعت على العلو المادي.

أفرز صناع التونمة صناعة مادية خالصة تجمع أكثر من أنْ تفرِّق؛ ولكن تتوجه صوب إحداث انقسامات قيمية كبرى ليست في صالح التنمية المستدامة. وبخلاف ذلك، نعتقد بأنّ فكرة التنمية تقتضي مساهمة شعبية وديموقراطية؛ أي مساواة وعدالة كجزء من الغاية؛ أي أن تكون وسيلة نبيلة لغاية جليلة.

ثالثاً: التركيب... والتنمية المركَّبة

وإذْ نلفي التنمية المركَّبة تفتقر إلى أدبيات مباشرة؛ فإننا نسعى إلى استكشافها من داخل مصطلح التركيب.

١- ابن خلدون: العصبيات المستتبعة والملتحمة.. والعصبية الواحدة المفضية إلى الاجتماع والعمران

يقف ابن خلدون على فكرة التركيب من غير أن يتقصّدها قصداً مباشراً؛ فمن غير الاستتباع والالتحام الذي يتحوَّل إلى وحدة واحدة، فإن كل قبيلة تتعصَّب لكبيرها؛ وهو ما قد ينذر بالصراع والاقتتال وتمزق الدولة.

إنّ أعلى قيم التركيب الإنساني-الإنمائي عند ابن خلدون هي التي تكون بين السلطان ورعيته، بحيث تكون عصبية السلطان غالبة على عصبيات أخرى. إنّ العصبية على نحو ما يعتقد ابن خلدون هي ضمانٌ للغلبة المجتمعية، وأمانٌ للتركيب الإنساني-الإنمائي.

٢- مالك بن نبي: المركّب الحضاري

يجادل مالك بن نبي في العناصر الحضارية: الإنسان والتراب والوقت، ويعتقد اعتقاداً جازماً بأنها تشكّل التركيب العضوي التاريخي الذي يفضي إلى ميلاد مجتمع جديد وبداية عمله التاريخي، بحيث تنجم عنهما تنمية متحضِّرة.

كما يعتقد بن نبي بأن الفعل الشتيت لا يستجلب حضارة، ولا يؤهِّل الإنسان للتحضُّر مهما كانت دوافعه ومهما سمت طموحاته؛ فالحالة الشتيتية حالة مرَضية. كما أنّ تحلُّل هذه العناصر الحضارية يفضي إلى التخلف؛ فالشيء الوحيد يخلق العجز، ويستشري في باقي الأشياء المفصولة.

٣- عبد الوهاب المسيري: النموذج المركَّب

يذهب المسيري إلى أن المجتمع الذي يقبل التركيب هو المجتمع الطبيعي، وليس من تسيطر عليه جماعات وظيفية متحرِّرة من القيم الأخلاقية السائدة. إنّ التركيب الإنساني يعيد للإنسان إنسانيته، ويحقق له الاحترام أمام سطوة الأشياء.

٤- لودفيك فتغنشتاين وإدغار موران: الكرسي المركَّب.. والوعي بالطابع المركَّب للإنسان

يقول فتغنشتاين: (نحن نرى العناصر المتممة على أنها شيء مركَّب؛ كرسي مثلاً). إنّ مكونات أخرى لتركيب كرسي لا يمكنها أن تعكس الصورة

التي تعبِّر عن وظيفة الكرسي التي هي الاستواء ومستتبعاته. فضلاً عن أنّ الكرسي يعبّر عن القعدة المستوية غير العاطلة، ويثبِّت مركزية الإنسان الفاعلة.

أما إدغار موران، فيرى ضرورة إعادة تشكيل الكل للتمكن من معرفة الأجزاء، من منطلق أنّ الوحدات المركَّبة هي وحدات متعددة الأبعاد.

٥- بشير محمد الخضرا: عناصر النمط النبوي-الخليفي المترابطة ارتباطاً منطقيّاً وثيقاً

يرى الخضرا أنّ النمط النبوي-الخليفي يتكوَّن من أربعة عناصر ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً. وهذه العناصر هي: الفردية، والذاتية، واللامؤسسية، وأهمية الرجل العظيم. ويخلص إلى القول بأن الأمة العربية بحاجة إلى توجه شامل نحو الجمعية أو العمل التعاوني وعمل الفريق والبعد عن الفردية الأنانية والذاتية، وتثبيت المؤسسة؛ أي نحن بحاجة إلى مرحلة من النمو نحقق فيها الشعار الذي يقول: الإجراءات هي المهمة.

٦- أمارتيا صن: الحريات الأداتية متداخلة ومترابطة.. والتنمية عملية توسُّع في الحريات

يقترح صن توثيق الرابطة بين الحريات الأداتية الخمس: الحريات السياسية، والتسهيلات الاقتصادية، والفرص الاجتماعية، وضمانات الشفافية، والأمن الوقائي؛ بحيث يكمل بعضها بعضاً. وإنّ ما يميِّز مشروع صن، أنه يهتم بالقيم الأخلاقية في توسيع دائرة التنمية، فهو يعود بها إلى أصولها الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية؛ فالاهتمام بالقيم هو اهتمامٌ بالناس.

رابعاً: وقفات متأنِّية أمام أدبيات التركيب

لم يكن يعنينا فيما استعرضناه آنفاً أنْ نجمع ما جاء في أدبيات التركيب للقيام بتركيب مناسب من قبلنا؛ فليس هذا مسلكنا.

١- الدولة ضرورة من ضرورات التركيب الإنساني الإنمائي

ما يعنينا في مشروع ابن خلدون هو الدولة التي ما زالت تعاصرنا وتصنع الحدث الإنمائي بنجاحه وفشله؛ فالدولة عنصرٌ مهمٌّ في التركيب الذي نتوخاه كما سنرى في الفصل الخامس.

-٢ الإنسان الذي يعيش في أمة بوصفه مسلكاً مرناً من مسالك التنمية المركَّبة

التحضُّر عند بن نبي لا يحصل إنْ لم يعش الإنسان في جماعة. ولكن هل يستطيع هذا الإنسان أنْ يعيش في جماعة إذا لم تكن هناك دولة تحمي هذه الأمة، وتوافق على تجمُّعها وتؤسِّس لها. إنّ عناصر المعادلة الحضارية: الإنسان والأرض والزمن، تكون حالة شتيتية -كما هو حالها الآن- إنْ لم تكن هناك دولة المؤسسات والأساسات.

-٣ الجماعات الوظيفية بوصفها انسداداً لمسالك التنمية المركَّبة

نتفق مع المسيري في أنه يتعذّر فهم الإنسان إلا وهو مفصول عن الأشياء والمادة، لاسيما أنّ الأشياء هي عامل مفكِّك لا تساعد على التركيب الذي يستجلب تنمية.

٤- التنمية المركَّبة محاكاة للأصل الذي هو الإنسان نفسه

من منطلق قول موران: (إذا عرفنا حقيقة المركَّب عرفنا طبيعة الأجزاء)؛ فإنّ المركَّب هو الأصل. قد نصنع كرسيّاً -أو تنمية- من أجزاء أخرى متباينة

في الصغر والكبر، ولكن قد لا تعبِّر عن حقيقة الأصل المركَّب. فقبل أن نصنع الكرسي ونركِّب أجزاءه لا بد أن نراه مركَّباً ونطلع على حقيقة رسمه؛ أي أن نرجع إلى الأصل.

-٥التنمية المركَّبة ليست فعلاً مختزَلاً

فيما يتعلق بـ: الخضرا فإن عمله ليس للتركيب أساساً، وإنما نراه مختزلاً في نمطين معينين. فالرجل العظيم في النمط النبوي لا يعكس شخصية الرسول ﷺ؛ لأنه لم يوصف في القرآن بالرجل العظيم أو العبقري؛ إذْ يفترَض أن نمتح من القرآن الكريم ألقاب الأنبياء، وإلا جنينا على أنفسنا وأعمالنا ومشروعاتنا. فالرسول محمد ﷺ نبي ومبشِّر ومنذر، وليس بمسيطر.

-٦ قيم الحرية بوصفها من المسالك المستقيمة في التنمية المركَّبة

نلفي في عمل صن الناس سواء أمام الحرية المتنوِّعة من حريات سياسية وتسهيلات اقتصادية وفرص اجتماعية وشفافية وأمن وقائي. ففي حضور الحرية لا يوجد الجزء الذي يَرهَب الكلّ أو الكلّ الذي يُرهِب الجزء؛ فجميعهم كأسنان المشط.

خلاصة القول، إنّ عناصر الحضارة عند بن نبي تنقصها الدولة التي تضع الحريات التأسيسية وتحميها بمؤسساتها كما سنحاجج في الفصل الخامس. وعليه، فإن مشروعات ابن خلدون وبن نبي وصن تؤسس للتركيب الإنساني -الإنمائي بلحمة القيم.

فالإنسان أولاً، والأشياء المادية ليست ثانياً؛ وذلك على نحو ما سنبسطه في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

ترسيمة البنيان المرصوص
السلطة والنخبة والعامة

"إنَّ الحشرات لا تنحشر خلال الجدران إلاَّ بعد أن تتشقَّق."

[حكمة إفريقية]

أولاً: ماذا نعني بالتركيب الإنساني الإنمائي أو البنيان المرصوص؟

قصدنا بالتنمية المركَّبة معنى (التنمية المرصوصة)، وليس التنمية المركَّبة ذات الأبعاد الشيئية على طريقة التنمية المُجمَّعة أو التنمية الشاملة.

إنّ القيم هي المعيار الذي نقيس به أهمية الشيء بالنسبة إلى الإنسان. فعندما يكون الإنسان هو الأهم والشيء هو المهم، تصبح القيم فاعلة. وعندما يكون الشيء هو الأهم والإنسان هو المهم أو أقل أهمية، تصبح القيم عاطلة.

ثانياً: خلفية التركيب التاريخية ونماذج قرآنية تطبيقية من التغيير المستجلب للترصيص

التركيبُ فعلٌ إنسانيٌّ تاريخيٌّ؛ وما يهمنا طبعاً التاريخ الإسلامي العربي؛ فأول ما حصل التركيب حصل في المدينة المنوّرة؛ فهو مفهوم مدني يعبِّر عن التضامن والإخاء والإيثار والتعاون، ومن ثم هو مفهوم إنساني إنمائي.

هناك **فريق أول** يغيِّر ما بنفسه نحو الأحسن كما هو في الشطر الأول من الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]، وهذا الفريق الأحسن ينمِّي نفسه وغيره، وهذه هي التنمية المستدامة التي تفيد منها الأجيال على الأقل لمدة ١٢٠ سنة وفق حسابات ابن خلدون؛ إنه تغيير مركَّب من السلطة والنخبة والعامة. مثل: قوم النبي يونس عليه السلام، وتقشّف القوم في فترة النبي يوسف عليه السلام، وقصة الملكة بلقيس وما جرى مع قومها وباستشارتها (الملأ). أما نموذج المدينة المنوَّرة فقد حصل فيه التغيير على مستوى أقوام متفرقة تاريخيّاً، ونموذج عمر بن عبد العزيز عليه السلام الذي أتى بعد فترة شتيتة في حياة المسلمين.

أما **الفريق الثاني** فقد اختار التعبير عما بنفسه من تمرد وعصيان وانشقاق؛ فانطبق عليه الشطر الثاني من الآية الكريمة ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾ [الرعد: ١١]، فلم يأت التغيير مركَّباً، بل جاء مختزَلاً كما في قصة قوم نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي لم يجد الدعم من قومه فانفصلوا عنه، وقصة قوم لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقصة فرعون الذي استخفَّ قومه، ورفض الترصيص مع موسى عليه السلام.

ثالثاً: مواقع البنيان وموانعه

من المعلوم أن الإنسان يتوزَّع على ثلاثة مواقع ، هي: العامة، والنخبة، والسلطة.

١- السلطة: عشق الذات وإشباع اللذات بالشيء

السلطة هي السليطة بموقعها والمتسلِّطة بموقفها، وذلك بما تمتلك من نفوذ وقيادة، وما يسندها من (شيء) فيه مكامن القوَّة التي به تتحكَّم فيما تريد التحكُّم فيه طوعاً أو كرهاً.

٢- النخبة: إسعاد العقل بالمعرفة المتشيِّئة

النخبة هي أداة التغيير نحو الأفضل والأكثر تأثيراً إذا ما اتخذت من (المعرفة) وسيلة، ومن إسعاد العامة غاية. ومن وجهة أخرى قد تكون النخبة سبباً في شقاء العامة إذا أسعدت عقلها بـ: (شيء) السلطة.

٣- العامة: إرادة القيم وإدارة التخلف

أما الطبقة الثالثة؛ فهي الشعب الذي لا يهتم بالسياسة كثيراً. وفيهم المثقّف والطبيب والقاضي والمدرّس والعامل. وعلى الرغم من أن العامة تعد تاريخيّاً وصية على (القيم)، فهي تريد تحسين أحوالها عبر القيم؛ وهذه نوايا حسنة.

رابعاً: نماذج من البنيان الإنساني الإنمائي ومراحل ترصيصه

كان المجتمع الإسلامي العربي المثالي أقرب إلى البنيان المرصوص في عناصره السلطة والنخبة والعامة؛ إذ شكَّلت القيم لحمة الترصيص كما في الشكل الرقم (١) الذي يبدأ بصخرة أو دائرة (العامة) التي هي أرضية البناء. وهو النموذج التاريخي المثالي والواقعي للترصيص الذي نستدعيه بفعل عدالات السلطة وطموحات النخبة وتضحيات العامة.

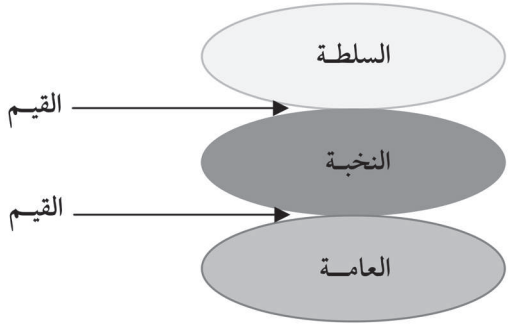

الشكل الرقم (١): أنموذج البنيان المرصوص

١- أنموذج بنيان الاستعمار: التكديس

الناس مستعمَرون في الأرض من قبل خالقهم ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، والمراد هنا أن الناس أُسكِنوا في الأرض للعيش والتعمير والسلام؛ ولكن إذا تحوّل الأمر إلى استغلال واستدمار فيصير الناس مستعمِرين لغيرهم.

يُكثِر الاستعمارُ القلّةَ ويقلّل الكثرةَ، ويحشرهم في دائرة متداخلة ومضغوطة كما في الشكل الرقم (٢)؛ فيراقب الجميع بعضهم بعضاً لحساب الاستعمار. وفي هذه الحالة تتداخل الدوائر وتتكدَّس وتتضاغط من غير انسجام أو تناسق؛ بحيث يبقيها الاستعمار في فوضى أقرب إلى التكديس.

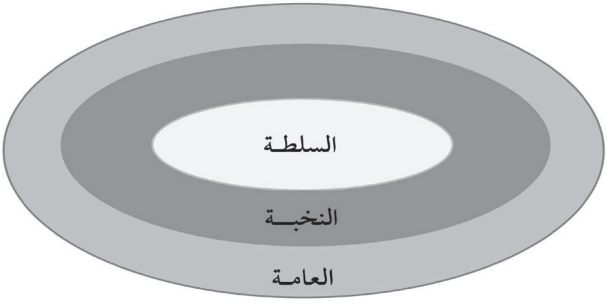

الشكل الرقم (٢): أنموذج بنيان الاستعمار

الاستعمار لا يحِدث الفُرقة وحسب، بل يكثر ويقلِّل، وذلك عندما يضيف (الشيء) للقلَّة من الناس فيكثرها، وعندما يحرم الكثرة المحرومة من (الشيء) فيقلِّلها؛ لأن الاستعمار يعلم مدىٰ تعلُّق الإنسان المحروم بـ: (الشيء) والاقتتال من أجله.

نعتقد بأن تقليل الكثرة يكون بالضغط المعنوي؛ إذْ إنّ الضغط لا يقلِّل وحسب، بل يقتل أحياناً. وهكذا استمر القتل المعنوي البطيء في زمن الاستعمار.

٢- أنموذج بنيان القابلية للاستعمار (=القابلية للمغلوبية): الغثاء

جرياً وراء لعبة القلَّة والكثرة، فإن مرحلة ما بعد الاستعمار تجنح إلىٰ إحداث صراع داخل القلَّة؛ فيحدث الانفجار في غياب الحريات الأساسية؛ حيث يتشكَّل بنيان القابلية للاستعمار (= ما بعد الاستعمار) كما في الشكل الرقم (٣) من غير نخبة ظاهرة ومؤثرة، بل تنحشر صامتة في دائرة السلطة.

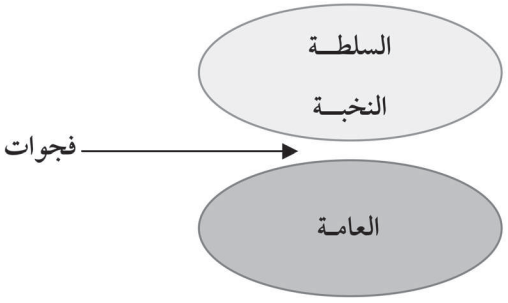

الشكل الرقم (٣): أنموذج بنيان القابلية للاستعمار (=القابلية للمغلوبية)

من وجهة أخرىٰ، فإنّ ما بعد الاستعمار تدخل السلطة والنخبة في صراع علىٰ الإرث الاستعماري، ومن يمتلك الشيء الجاهز والمجهَّز تحصل له الغلبة كما هو الشأن مع السلطة التي تستبعد النخبة الطامحة والصادقة.

٣- أنموذج بنيان التنمية: الاختزال

نلفي العودة الموفَّقة للنخبة من الخارج أو تلك التي حصلت علىٰ تعليم جيد في الداخل، قد فرضت بنياناً جديداً بدخول النخبة بوصفها حجراً مهمّاً في البناء، يتخذ شكل الوسيط بين العامة والسلطة، كما هو مبسوط في شكل بنيان التنمية الرقم (٤). ومع ذلك يظل إرث الاستعمار عالقاً في البنيان، تشهد علىٰ ذلك الفجوات التي تزيد من مسافة الاختزال التي يكون ضحيتها من العامة غير المتحضِّرة، لاسيما أن النخبة التي تحضَّرت في غير جماعتها (= الأمة)، يصعب أن تعيش في جماعة غير متحضِّرة.

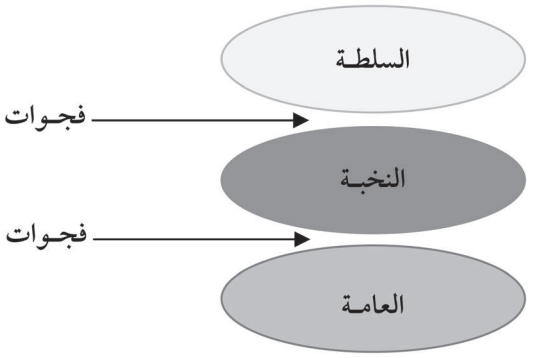

الشكل الرقم (٤): أنموذج بنيان التنمية

٤- أنموذج بنيان ما بعد التنمية: الترصيص

يشير بنيان ما بعد التنمية إلى أن القيم باتت لحمة الترصيص للبنيان كما هو في الشكل الرقم (٥). فالناس مهما كان تحضرهم، فإنهم لا يقفون على أمر سليم ولا يؤدون فعلاً صحيحاً؛ إلا إذا وحدتهم القيم وأرشدتهم، لاسيما إذا كانت القيم في حد ذاتها تنمية.

كما يعني أنموذج ما بعد التنمية أنّ النخبة صارت ناضجة وقادرة على مخاطبة السلطة بلغة الحياة -وليس بلغة الحق وحسب- فتطالب بالحق في الحياة وفي الصحة وتوفير الحاجات السياسية والاقتصادية للعامة على نحو ما حاجج أمارتيا صن.

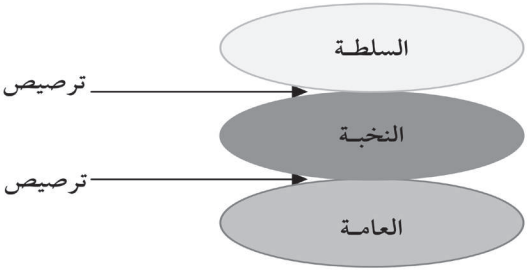

الشكل الرقم (٥): أنموذج بنيان ما بعد التنمية

وإذْ نلفي وظيفة القيم وظيفة ترصيصية وليست تأسيسية وحسب؛ فإن قيم العبودية والحرية والمعرفة والوقت تؤشر إلى المسالك الإنمائية المرنة والمفتوحة على نحو ما سنتناوله في الفصل الثالث.

الفصل الثالث

مسالك التنمية المركَّبة ومؤشراتها

﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗا﴾ [النحل: ٦٩].

"عندما تضلُّ طريقك، فمن الأفضل أن ترجع من حيث أتيت ".

[مثل إفريقي]

لا نشتطّ في المقايسة بين خلية النحل والتنمية المركَّبة؛ فلطالما ألهمت الحيواناتُ الإنسانَ على الإبداع.

صحيح أن الإنسان والحيوان مختلفان ومتناقضان لا يلتقيان، ولكنهما من صنع خالق واحد أحد، وكلاهما أمامه مسالك مذلَّلة بإذن ربهما، ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗا﴾ [النحل:٦٩]؛ إلا أنّ الإنسان مقيَّد بالقيم ومتحرِّر بالعقل؛ أي مقيَّد بقيم العبودية ومتحرِّر بقيم الحرية.

أولاً: إنسان متحرِّر من سلطة الشيء

تبرز في التنمية المركَّبة إنسانية الإنسان وتصبح فاعلة، لاسيما عندما يكون الإنسان متحرراً من سلطة الشيء؛ أيّاً يكن شكله.

إنّ مأساة الإنسان (= السلطة) مركوزة في تملكه العنيف للشيء. ومن ثم نتساءل، لماذا يكون للشيء سلطةٌ على الإنسان؟ والإجابة أنّ الإنسان ليس له سلطة على نفسه من وجهة؛ أما من وجهة أخرى فهو لا يختلق الشيء بنفسه؛ فيتسلّط عليه لما يأتيه جاهزًا.

١- الإنسان بوصفه موجوداً بقيم الحرية

إنّ تفعيل قيم الحرية التي تستجلب للإنسان الاحترام الذي يحرره من سلطة الشيء، هو مؤشر إلى التنمية المركَّبة. ومثل هذه القيم التي تسندها قيم العبودية تجعل الشيء مجرّد وسيلة لتحصيل غاية هي تأمين الإنسان وإطعامه.

قد ينشط الشيء في ظل قيم الحرية ويشتط؛ ولكن يُلجَم ويوضَع في حدوده إذا روّضته قيم العبودية. وإذْ نلفي في عالمنا أن الأزمة ليست أزمة إنسان؛ فإنها أزمة سلطة شيء على الإنسان.

٢- الشيء بوصفه مفقوداً ليس له سلطة على الإنسان الموجود

الشيء الجاهز الموجود لا يصنع تنمية إذا كان الإنسان مفقوداً، والإنسان الموهوب بيولوجيّاً لا ينفع إذا لم يكن حاضراً اجتماعيّاً.

إنّه من غير تحصيل المفقود، يكون للشيء الجاهز سلطةٌ على الإنسان؛ فتأتي التنمية مختزَلة.

٣- الشيء الجاهز والمجهَّز بوصفه طاقة تؤثر سلبيّاً في الإنسان والقيم

طبقاً لمقولة آينشتاين المشهورة كل شيء عبارة عن طاقة؛ أي (كل الحوادث في الطبيعة تتضمن طاقة تتحوَّل من شيء لآخر)، فإن السطلة والنخبة والعامة هي كتل يديرها الإرث الاستعماري. ولكن إذا استعادت هذه الكتلُ القيمَ التاريخية والحضارية، وهي تستثمر في الماضي، صارت طاقة تتقدم إلى الأمام.

ومن منظور قيم العبودية، لا نكتفي بالقول إنّ التنمية الدينية لابد أنْ تمارَس في المسجد وحسب؛ وإنما قيم العبودية تمارَس أيضاً في التنمية المادية.

تعدّ طاقة القيم مصدراً مهمّاً للخُشُب المسنَّدة أو الكتل الفارغة صنيعة الإرث الاستعماري من سلطة ونخبة وعامة؛ إذْ إنّ هناك علاقة بين الطاقة والكتلة؛ أيْ علاقة بين القيم، و(السلطة والنخبة والعامة). فالطاقة هي ما تمتلكه الكتل المتحركة؛ وهذا الامتلاك هو القيم. وإذا كانت الطاقة هي ما يمكِّن الكتل من التحرك؛ فإن القيم هي ما يساعد السلطة والنخبة والعامة على الفعل الإنمائي الإيجابي.

ثانياً: قيم متحرِّرة من سلطة الإنسان

تتحرَّر القيمُ من سلطة الإنسان الشيئية عندما يحصل توظيف الهوية واللغة وقيم العبودية وقيم الحرية والوقت الإضافي في مسيرة التنمية.

١ - حيث توجَد الهوية توجَد التنمية

يفترَض النظر إلى القيم على أنها حالة يعيشها الإنسان ويعاصرها. إنّ القيم التي كانت بمثابة التأسيس هي الأصل.

ما يفترَض أيضاً، هو احترام (الهو) ولجم (الأنا) والحذر من الآخر؛ فحيث توجد الهوية توجد التنمية. التنمية هي (الهو) وتكون باحترامه. وبوجود الأنانية لا توجد الإنسانية المتضامنة؛ فاللاتضامن ناتج عن الأنا المتسلط. وحيث يوجد الآخر يوجد التأخر؛ فالتأخر ناتج عن التابعية للآخر.

وعليه يفترَض أنْ نتعامل في التنمية المركَّبة مع القيم على أساس أنها الكل، والتنمية هي الجزء، والإنسان هو القاسم المشترك الفاعل، والأرض هي الحامل، والوقت هو العامل.

٢- اللغة والتنمية ... اللسان والإنسان

لكل تنمية لسان وإذا نطقت التنمية بغير لسانها فلا تعدّ تنمية. التنمية كائن حيّ مادته الإنسان وروحه اللغة؛ إذ رافقت التنميةُ الإنسانَ منذ ولادته؛ فهي جزء منه، واللغة هي الجزء الآخر. وإذا اكتمل الجزءان اكتمل الإنسان.

لا يوجد تنمية ناجحة قامت بلغة الآخرين واستدامت. وإذا هي استعملت لغة غيرها في قضايا استراتيجية صارت ممزّقة.

وُلدت اللغة مع الإنسان مثلما وُلد الدين معه؛ ففي الدين نلفي الأبوين يشكلاّن هوية الطفل، ولكن في اللغة نلفي البيئة المغلوبة وعناصر الغلبة هي من يشكِّل عقل المبدع؛ وهنا يضطر المغلوب إلى حمل ثقافة هذه اللغة فيأتي مقلِّداً بلغة غيره؛ فينتفي الإبداع ويختفي.

٣- كل استدامة تستدعي استقامة.. والقيم أن تقيم الشيء المقيم مستقيماً

إذا أقام الإنسان التنمية من غير قيم تكون قد هامت هذه التنمية واختُزلت؛ لأن التيه يحصل في غياب الهدى. إنها تنمية هائمة تسير من غير هدى.

التنمية من غير هدى هي تنمية غير مستدامة أو تنمية تجري وراء غايات غير إنسانية. فأينما وُجد الهدى وُجدت إنسانية الإنسان؛ فهما وجهان لتنمية

مستدامة؛ لأن كل استدامة تستدعي استقامة. فإذا كان في الاستدامة استقرارٌ للتنمية، فإن في القيم استقامةً للإنسان وتهذيباً لسلطته.

الدين قانون، والإنسان خلْق، والتنمية خلق الخلق. والتنمية من غير إنسان لا تندرج في إطار الاختلاق. ومن ثم، تُسحَب منها رخصة الاختلاق؛ فتجمد عند الشيء الجامد. والتنمية من غير دين هي تنمية من غير قانون ينظِّمها، بل هي تنمية ملتوية المسالك يفيد منها الملتوي والفاسد. إن التنمية التي لا تقف عند الدين وتتأمل فيه صورتها هي تنمية مشوَّهة وفاسدة تخاف من استكشاف حقيقة نفسها القبيحة؛ فلا تفيد من الصلاح الذي هو في الدين.

أ- قيم العبودية

تشكّلت السلطة في العالم الإسلامي العربي داخل قيم العبودية؛ فلم يكن في عهد الجاهلية العربية ما يمكن أن نقول عنه قيم العبودية بله قيم الحرية، كما تعدّ قيم العبودية مسلكاً مهمّاً للغاية في التنمية المركَّبة. فمثل هذه القيم كانت الحاضر الأكبر في دولة الرسول ﷺ على مستوى السلطة والنخبة والعامة، وليست فقط نتيجة (أهمية الرجل العظيم أو العلاقة العاطفية بين القائد والأتباع) كما يذهب إلى ذلك الخضرا، بل إنّ إدارة الرسول ﷺ في المدينة كانت تهدف إلى تكوين أمة مترابطة فيما بينها. ومن ثم، نقف على أن قيم العبودية هي ما توافق مع طبائع الاستخلاف البشري.

تحثّ آية الذاريات على التنمية في إطار قيم العبودية، وهي مسلك مهمّ ومرن من مسالك التنمية المركَّبة في استدامتها، والحفاظ على مسيرتها مهما وقفت أمامها عوائق الشر من فساد وغرور ومفاخرة تعقب كل خير.

ومن جهة أخرىٰ، فإن الإعراض عن قيم العبودية يفضي إلىٰ التمسك العنيف بـ: (الشيء) وعدم التحرر منه، وهو طريق إلىٰ المعيشة الضنك. نلفي قيم الحرية قد تصنع تنمية، لكن تكون ضنكاً في غياب قيم العبودية. والضنك هو ألا يشعر الإنسان بالسعادة والرضا مهما أوتي من تنمية؛ فهو في بقاء فيه شقاء.

- العبادة أول المسالك الإنمائية

يعدّ الأصل هو أولىٰ مسالك التنمية، والعبادة أول الأصل؛ وهي الغاية من الخلق كما جاء في آية الذاريات؛ بينما مخارج الأصل تفضي إلىٰ الرزق والإطعام والأمن.

وإذْ نلفي الدينامية هي ربط المداخل (العبادة) بالمخارج (التنمية)؛ فإن التنمية (= قيم الحرية) لا تستغني عن قيم العبودية، ولا غنىٰ لقيم العبودية عن التنمية. هناك تراحم مطلوب بين قيم العبودية وقيم الحرية لتحصيل تنمية يُعبَد بها الله من وجهة، ويُرزَق بها الناس ويُطعَمون ويؤسسون لتنمية مختلفة عن الآخر غير متخلفة عنه من وجهة أخرىٰ.

إنّ العبرة من توظيف قيم العبودية في التنمية، لاسيما في مجتمع آمن بهذه القيم، هو تحصيل النفع الدنيوي والمادي علىٰ شكل طيبات، يقول العليم الخبير: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف: ٥٨].

- التنمية صناعةُ نصوص

الأمة الإسلامية هي أمة نصٍّ نظراً إلى أن انطلاقتها كانت نصية وما زالت. وإذا جاءت نصوص أخرى قيادية فيفترَض أن تكون حمولتها المعرفية والفلسفية محمولة على النص السيادي غير متناقضة معه. فالتناقض على مستوى النصوص ينسحب تناقضه على المجتمع أيضاً.

النص السيادي -القرآن الكريم والسنّة الصحيحة- لا زمن له، فهو يدخل في إطار الشهود على الوجود (= النصوص القيادية)، يشهد لها بالقيادة من عدمه؛ فلا قيادة من غير سيادة. وإنّ كل نص يكتسب قيادته من الزمن الذي يعايشه، يحصل له التغيير بتغير الزمن. وذلك بخلاف النص السيادي الذي لا تضيق به الأزمنة؛ إذْ لا زمن له. ومن ثم، فإن مسالك العبادة مسالك ثابتة لا يمكن استبدالها بمسالك إنمائية متغيرة. فمن طريقها يحصل التجديد وإعادة الترميم بما يتناسب مع مستجدات العصر ومتغيراته.

ب- قيم الحرية

لا تستغني قيم الحرية عن قيم العبودية؛ فهي ترقى بصاحبها فلا يشقى؛ ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١-٢]. وإذا كان القرآن الكريم يبشّر بقيم العبودية، فإن التنمية تبشّر بقيم الحرية، لاسيما أن أكثر من ١٤٠٠ آية من آيات القرآن تشير إلى قضايا اقتصادية وإنمائية ذات أبعاد مادية، فضلاً عن الحلول الأخرى الموجودة في القرآن بجملته. فلا تعارض بين القرآن والتنمية في أمور تُصلح حال الناس. وإنّ التعارض يكون في التناقض الذي هو طبيعة بشرية تتسبَّب فيها قيم الحرية المشتطَّة.

إنّ التنمية بوصفها حرية -وكما يتطلّع إليها أمارتيا صن- تتوجه نحو تقليص الحرمان وتعزيز قدرات الإنسان؛ وهي كل ما استجلب للإنسان الأمن والمعافاة وتوفير القوت.

يكون الأمن متوافراً عندما تكون قيم الحرية متوافرة ومتراحمة مع قيم العبودية، وتضع الإنسان في مكانته الطبيعية فلا يطغى على القيم، وإنما يهتدي بها، ففيها الخير كله؛ لأن حرية الناس وعبوديتهم تجعل الأمن آمناً ومسالماً وليس خائفاً وخانقاً.

ثالثاً: معرفة ليس لها سلطة على القيم

المعرفة المفيدة ليست بالضرورة أن تكون مفيدة ومستدامة لتنمية أخرى، فقد تكون خياراً من الخيارات الحاسمة إنْ هي أفادت في الحاضر، وقد تجلب التبعيةَ إذا لم تفد في المستقبل. فهل كل إفادة هي مفيدة ومستقيمة؟ وهل كل معرفة هي عارفة ومستدامة؟

نعتقد بأنّ المعرفة هي الترجمة النظرية للقيم العملية، وليس العكس الذي قد يفضي بالتنمية إلى مسالك اختزالية. ومن ثم، فإنّ القيم هي وعي الإنسان، والإنسان هو روح التنمية، والتنمية هي جسد الأمة، والمعرفة هي مسالكها الآمنة.

وعليه، فإننا نرى أن التعامل بالقيم على أساس أنها تحسينيات يعدّ فعلاً اختزاليّاً، وإنما القيم هي ضروريات تكون على رأس الأولويات؛ لأن اعتبار القيم مجرد تحسينيات يعني ذلك أن هناك ضروريات غير قيمية تحتاج إلى تحسينيات قيمية تأتي بعد فوات الأوان.

رابعاً: مستقبل إنمائي تتراحم فيه القيم والمعرفة والوقت الإضافي

الإنسان تركيبة زمنية يُشترَط احترامها والوقوف عند محطَّاتها؛ فالاحترام يعزّز من تفعيل الزمن. وإنّ كل النجاحات الإنمائية نراها حصلت باحترام الوقت الذي هو من احترام الإنسان وقيمه. فعندما يلتزم الإنسان بفعل شيء ما، فهو يحترم الزمن ويفعِّله في الشيء.

التنمية المركَّبة فكرة قوامها الإنسان والأرض والزمن؛ إذ يعدّ الزمن لحمة ترصيصية أخرىٰ في عملية التنمية المركَّبة. وإنّ الإنسان والأرض مشاعان، ويمكن ملامستهما والإفادة منهما مباشرة؛ أما الزمن فليس مشاعاً والقبض عليه يعد مستحيلاً، إلا أنّ استثماره بوساطة الإنسان والأرض يحوّل المستحيل إلىٰ ممكن، وإنّ تطور الإنسان والأرض محكوم بمدىٰ استثمار الزمن.

إنّ الذي يعيش في أرض متخلفة نلفي وقته لا يسمح له بالتقدّم، علىٰ الرغم من وجود الشيء الجاهز لديه؛ لأن الذي يعينه علىٰ التقدم هو الشيء المستكشَف الذي جاء عبر الوقت الإضافي. ولكن إذا انتقل الإنسان الموهوب إلىٰ أرض متقدمة يكون فيها الوقت إضافيّاً حصل له التقدم؛ لأن (الشيء) في البلد المتقدم أعان علىٰ التقدم، فحمل الشيء بداخله زمناً متقدّماً.

إنّ هذا (الشيء) العالق بالإرث الاستعماري -وفي أرض متخلفة- يستجلب كثيراً من التبعية والحرمان واللااستقلال؛ إذْ يمككنا تعرية هذا الواقع غير المعقول بواقع آخر معقول، يشكِّك في اللامعقول وفق حسابات منطقية ويفكِّكه داخل مربّع سيميائي علىٰ نحو ما سنتحدث عنه في الفصل الرابع.

القسم الثاني: الواقع

الفصل الرابع

التنمية المركَّبة

تحليل سيميائي تربيعي

"فما يُتَعبَّرُ إفصاح وما لا يُتَعبَّرُ إشارة."

[النفري]

يكشف التحليل السيميائي عن حقيقة التنمية في بلدان دول ما بعد الاستعمار. كيف تُختزَل التنمية عبر الشيء والمعرفة فلا يفيد منها إلا القلّة القليلة؛ بينما مفهوم الاستعمار أو الإرث الاستعماري مفهوم قبيح لا تجتمع الكثرة على قبوله مهما جلب لها من تنمية.

أولاً: مدخل سيميائي

وإذْ نقوم بتحليل سيميائي للتنمية المركَّبة؛ فإننا نلفي تداخلاً هجيناً بين الإرث الاستعماري، والسلطة والنخبة بشكل متفاوت، غالباً ما تنجم عنه تنمية مختزَلة نتيجة استبعاد العامة. لاسيما أنّ في التنمية المختزَلة يكون العدد غير معدود ولا ممدود؛ لأنه في الغالب يكون أحاديّاً أو متبوعاً بصفر يأتي أمامه لا خلفه؛ فيُبقي على العدد مهما تعدَّد أحاديّاً غير مسنود، بينما (العدد لا وجود له إنْ لم يوجد ما هو معدود).

ثانياً: المربَّع السيميائي: ثنائية التنمية المركَّبة والتنمية المختزَلة

يكشف لنا المربَّع السيميائي عن طبيعة الإرث الاستعماري الذي ليس في مصلحته أن تكون التنمية مركَّبة، فيحيلها إلى تنمية مختزَلة تدور في دائرة التخلف والحرمان واللااستقرار واللااستقلال.

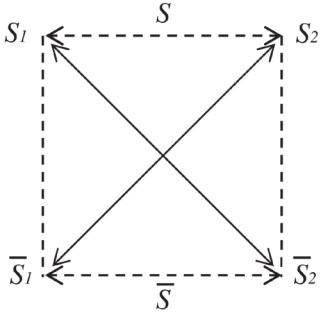

الشكل رقم (٦): المربَّع السيميائي لدى غريماس

وعليه، فإن المربَّع السيميائي لثنائية التنمية المركَّبة والتنمية المختزَلة، يكون على النحو الآتي:

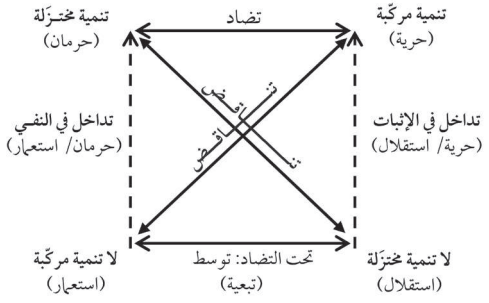

الشكل رقم (٧): التمثيل البصري للمربَّع السيميائي: ثنائية التنمية المركَّبة والتنمية المختزَلة

إذاً، المربَّع السيميائي للتنمية المركَّبة والتنمية المختزَلة هو:

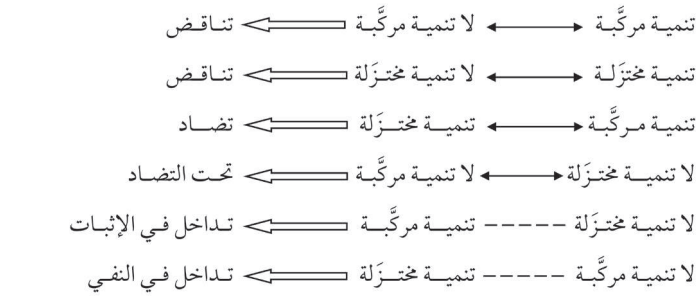

التنمية المركَّبة هي ترسيمة من السلطة والنخبة والعامة، ولهذه الترسيمة علامات. وإنّ علامة السلطة هي (الشيء) وما تتضمَّنه من مال وموارد في الغالب تكون جاهزة (الثروات والموارد الطبيعية مثلاً) أو مجهَّزة (موارد لم تسهم النخبة في ابتكارها وإيجادها)، وإنّ علامة النخبة هي (المعرفة)، بينما علامة العامة هي (القيم). وبمعنىً آخر قد تكون تلك العلامة شيئاً واحداً، فبالنسبة إلى السلطة التي تتميز بالشيء بوصفه الإشارة الكبرى والمموهة التي قد تتداخل فيها علامات المعرفة والقيم بشكل غير مستقر، كما أن النخبة التي تتميز بالمعرفة بوصفها علامة قد تتداخل فيها علامات الشيء والقيم بشكل متفاوت. وهذا ينسحب أيضاً على العامة.

تنتصر السلطة إلى [لا تنمية مركَّبة] بوصفها اللاعب الأكبر الذي يمتلك الشيء الجاهز والمجهَّز؛ فهي تنمية ممزوجة بالتخلف (لا تنمية)، و(لا مركَّبة)؛ أي مختزلَة في عدد واحد الذي هو السلطة، وبعض النخبة المقرَّبة التي هي الجزء الهامشي – أو الصفري– في السلطة. إنّ الاختزال أو (تنمية مختزَلة) يستجلب اللامساواة في الصف الإنساني ويعمِّق في حفرة التباين.

وهناك [تضاد] واضح ومعقَّد بين تنمية مركَّبة وتنمية مختزَلة؛ ولا يلتقيان. في التنمية المختزَلة يكون للإرث الاستعماري حضور عبر الشيء المجهَّز والمعرفة الشيئية التي تلغي القيم، ثم تلغي العامة من المشاركة في الترصيص؛ فالعامة لا شيء لديها ولا معرفة. وهذه هي التنمية المختزَلة تبدأ بسيطرة الشيء على السلطة، وسيطرة المعرفة على النخبة.

أما [تحت التضاد] فهو طبيعي يعبّر عن التبعية التي هي عند بعضهم وسط، بينما في التنمية لا يوجد الوسط بوصفه تبعية. والوسط هو الاستقلال نفسه، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. كما أن الوسط عند العقلاء هو الفعل الممتلئ الذي يُستنَد إليه. فالأمة الوسط هي الأمة المنتجة غير التابعة التي تشهد على الناس بحضورها.

[تداخل في الإثبات] هو مؤشر إيجابي؛ فتنمية مركَّبة تعني (لا تنمية مختزَلة)؛ وهو ما يزيد من فرص الحرية (= الاستقلال)، وهي تنمية يفيد منها غالبية المحرومين من العامة نتيجة ظهور ملامح العدالة، ونكون بذلك أقرب إلى تعبير أمارتيا صن يعزِّزه تحليل ابن خلدون.

أما [تداخل في النفي] فهو مؤشر سلبي؛ فتنمية مختزَلة تعني (لا تنمية مركَّبة) التي يفضحها استبعاد العامة؛ وهو ما يعمِّق في حفرة اللااستقلال. وهذه تشكِّل مداخل إلى الحرمان (الاستعمار) الذي يجعل العناصر (السلطة، النخبة، العامة) محرومة من التركيب؛ وهو ما يؤدي إلى ظهور ملامح انتفاء العدل، ويعزّز من فكرة القابلية للاستعمار لدى بن نبي، ويناقض ما ذهب إليه الخضرا.

يمكن تقريب الشرح عبر الشكل الرقم (٨):

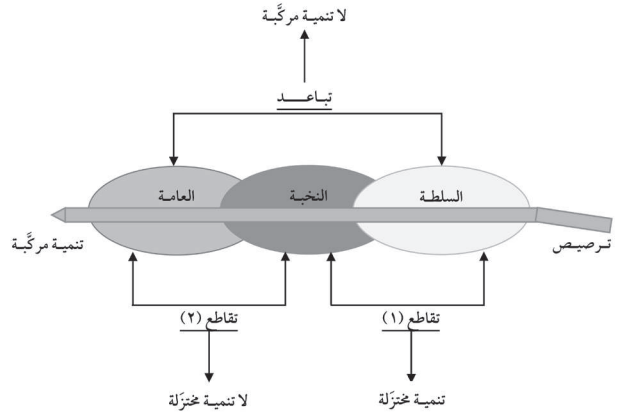

الشكل رقم (٨): مؤشِّرات التنمية المركَّبة والتنمية المختزَلة

نلاحظ في التقاطع (١) مؤشراً سلبيّاً؛ وهو أنّ السلطة والنخبة يتقاطعان في (الشيء) الجاهز، و(المعرفة) العالقة بالإرث الاستعماري؛ وهو تجاذب ليس في مصلحة التنمية المركَّبة بل يفضي إلى الاختزال (= تنمية مختزَلة).

يظهر في التقاطع (٢) مؤشر إيجابيّ؛ هو أن النخبة والعامة يتقاطعان في المعرفة والقيم، فالآخر يعزِّز الآخر، ولكن هذا التقاطع يستجلب التنافر. ومن ثم، يفترَض إيجاد حل له حتى تكون المعرفة متراحمة مع القيم؛ فتكون النخبة بمعارفها القيمية وسيطاً مركَّباً بين السلطة والعامة (= لا تنمية مختزَلة).

بادٍ، أنّ في التباعد يوجد (لا تنمية مركَّبة)، وفي الترصيص يوجد (تنمية مركَّبة).

جاءت (لا تنمية مختزَلة) عبْر الإرث الاستعماري للإيهام بأن الشيء والمعرفة بإمكانهما تعزيز وضعية العامة في التنمية المركَّبة التي تنشدها قيم العامة؛ وهو ما يزيد في معاناة الأمة التي تغريها السلطة والنخبة بأنّ الإرث الاستعماري لا يتناقض مع القيم، بل يتضايف معها لتحصيل التنمية -ولو مختزَلة- عبر المزيد من تراكم الأشياء، وبما تتيحه من معرفة وتعليم وتدريب وتأهيل واكتساب المهارات.

ثالثاً: تحليل سيميائي للإرث الاستعماري وموقفه من ثنائية التنمية المركَّبة والتنمية المختزَلة

إنّ العبرة من المربّع السيميائي لثنائية التنمية المركَّبة والتنمية المختزَلة هي إنتاج أكثر من معنىً، وتوليد شبكة من المفاهيم والعلامات، مثل: الحرية، والحرمان، والاستقلال، والاستعمار، والتبعية.

إنّ معاني الحرمان والحرية تفرز تناقضاً حاصلاً بين التنمية المركَّبة والتنمية المختزَلة؛ فلا يكون هناك جمعٌ بينهما ولا وسط. ومن ثم، فإن الرغبة في امتلاك التنمية المركَّبة وعدم انتقالها إلى تنمية مختزَلة متناقضة هي ما تنتصر إليه القيم ويؤسس للفعل الحضاري، ويستبعد الإرث الاستعماري.

في اختزال التنمية تكون السلطة والنخبة تابعة للإرث الاستعماري؛ لأنّ مصالحهما شيئية ومعرفية وهي مستودعة لدىٰ الإرث الاستعماري، بخلاف العامة التي تكمن مصالحها في القيم التاريخية والحضارية التي اكتسبتها من الأسلاف. إنّ غاية الإرث الاستعماري ألا يكون إرث الأسلاف الحضاري حاضراً في عملية التنمية حتىٰ تأتي هذه التنمية مختزلَة؛ لأنّ الكثرة هي العامة

المهمَّشة والمستبعدة؛ فإما أنْ يأتيها الشيء من السلطة جاهزاً فلا يفيدها، بل يعوقها على استكشاف أشياء جديدة.

سيميائياً، نلفي استبعاد الإرث الاستعماري للعامة من عملية التنمية المركَّبة عبْر تجهيز السلطة بالشيء وتجهيز النخبة بالمعرفة، يهدف إلى ترسيم مسالك التنمية المختزَلة وتوسيع دائرة اللااستقلال، ويكون ذلك باستبعاد القيم التاريخية والحضارية التي تحرسها العامة.

من خلال المربّع السيميائي، نلفي وضعية [التنمية المختزَلة] التي تعبر عن القلّة في ظل كثرة الإرث الاستعماري من شيء ومعرفة، ووضعية [لا تنمية مركَّبة] أو لا لقيم العامة. إنّه في ظل استبعاد القيم تكون التنمية كالمعلَّقة بين (مختزَلة) و(لا مركَّبة). ومن ثم، فإنّ وضعية (لا تنمية مركَّبة) تكشف عن نوايا الإرث الاستعماري تجاه العامة.

بادٍ، من المربّع السيميائي أن وضعية (لا تنمية مختزَلة) تعبِّر عن التقارب بين الإرث الاستعماري والسلطة والنخبة؛ فهم يصنعون تنمية مركَّبة على طريقتهم الجاهزة بهدف استبعاد القيم وتغييب العامة. كما بدت وضعية (لا تنمية مختزَلة) مقموعة وغير مركَّبة للإبقاء على ثنائية التنمية المركَّبة والتنمية المختزَلة قائمة من غير حل. ومن ثم، فإن وضعية (لا تنمية مختزَلة) تشير إلى أن العامة تفتقد الشيءَ الذي لدى السلطة، كما تفتقر إلى المعرفة التي لدى النخبة؛ لأن قيمها تتناقض مع الإرث الاستعماري؛ وهو ما يزيد من هوة (لا اختزال) أو التركيب غير المتجانس بين السلطة والنخبة والإرث الاستعماري، فلا يحدث تقارب مع العامة.

من الجانب الأيمن؛ أيْ [تداخل في الإثبات] من المربّع السيميائي، يكون (الاستقلال) الذي من المفترَض أن تنجم عنه حرية؛ أيْ حرية الإنسان

الذي له سلطة على الشيء والمعرفة. كما يحصل الاستقلال بطرد الاستعمار؛ إذْ تكون الحرية باستحضار القيم لاستبعاد الإرث الاستعماري. قيم هي مزيج من حضارة وتاريخ وبيئة، بحيث لا يكون للإرث الاستعماري موطئ قدم فاسد في أرضها أو متحكِّماً في إنسانها أو مشكِّكاً في قيمها.

في استحضار القيم بوصفها طاقة بيئية تزيد في حركية التنمية المركَّبة؛ لأن الحرية تقلِّص من دائرة الحرمان؛ فعامة محرومة لا تفضي إلى تنمية مركَّبة حرة. ولهذا على النخبة والسلطة أن تتقاسم الشيء والمعرفة مع العامة، ولكن بمعايير قيمية؛ لأن قيم الحق لا تظلم بل تجلب العدالة.

إنّ التنمية التي تشارك فيها العامة يفترَض ألا تكون محرومة من التعليم والرعاية الصحية وغيرها من الحريات التي فصَّل فيها أمارتيا صن، حتى يتسنى لها أنْ تتوجّه نحو تلبية احتياجات المجتمع سياسيّاً وثقافيّاً واقتصاديّاً.

بالنسبة إلى الجانب الأيسر من المربَّع السيميائي [الاستعمار/ الحرمان]، فإن الشيء والمعرفة هما من مسالك القابلية للاستعمار لدى السلطة والنخبة. والحرمان هو مسلك أيضاً للقابلية للاستعمار لدى العامة، وهي تصبو غريزيّاً إلى تحصيل ما حصلت عليه السلطة والنخبة؛ بينما كلهم يسبحون في فلك الاستعمار. فكلما زاد الشيء الجاهز زاد الاحتيال واتسعت دائرة الحرمان، نظراً إلى أنّ المعرفة في إرثها الاستعماري تفرز نخبة سجينة العقل الأحمق الذي يتحالف مع الفعل الطائش للسلطة، بهدف اختزال العامة وحرمانها من حقوقها والتشكيك في قيمها.

نلفي الأمور تنفذ على نحو ناجح كلما تمّ استبعاد الإرث الاستعماري من عملية إعادة البناء؛ كما سنرى في الفصل الخامس.

الفصل الخامس

عناصر التنمية اليابانية المركَّبة

الدولة والإنسان والأرض والوقت

"إنه لكي تعيش خارج المجتمع ينبغي أن تكون إما حيواناً أو إلهاً".

[أرسطو]

لا ينصرف اهتمامنا إلى تفحيص الأنموذج الإنمائي الياباني داخل العناصر الحضارية الثلاثة: الإنسان والأرض والوقت؛ إذْ لا يعنينا تمحيص نجاح التجربة في مختبر الفكرة، وإنما نتقصَّد من ذلك امتحان هذه العناصر الحضارية داخل الأنموذج الياباني، ونتنجَّز اختبار نضج الفكرة في حقل التجربة الناحجة.

أولاً: فاعلية الإقطاع الـ: توكوغاوي (= التنمية المتبدِّية)

نعالج هذه الفترة الإقطاعية من داخل الترسيمة الحضارية: الإنسان والأرض والوقت؛ وهي لا شكَّ غاية ما يراه الإنسان، وهو يقبع في عزلته ويسبح في وحدته. ومثل هذه المحددات هي ما عنَّ للعزلة اليابانية استثمارها في مسيرتها الطويلة، لاسيما أنّ ثلاثيتها البشرية والمادية والوجودية كانت وسيلتها لبلوغ غايتها التي تجلَّت في تحصيل الاستقرار وتفعيل الاستمرار.

١ - الإنسان

يكمن تفوق الإنسان الياباني في بذل الجهد بمعايير عملية تجعل صاحبها أبلغ ذكاء في التعامل مع الأفكار، وأكثر مهارة في تطويع الأشياء وتطويرها. لقد تجلّى ذكاء الإنسان الياباني في تعاطيه مع الاقتباسات الصينية وأهمها النصوص الكونفوشوسية؛ فأخذ اليابانيون الأفكار من الصين بعد أنْ فصلوها عن بواعثها البيئية والإيديولوجية.

هذا التمييز بين الداخل والدخيل ليس أمراً هيِّناً يتقن فعله كل إنسان؛ فمثله قد حدث ما قبل عصر التنوير الأوروبي في وقوفه على الإبداعات الإسلامية العربية، فطبقوا عليها إجراءات الفصل، كما طبقوها على الكنيسة والدولة.

ومن العلامات التي تشير إلى أنّ الإنسان الياباني كان فيه شيء من الحضارة هو أنّه لم يكن منفصلاً عن مجتمعه، وكان فاعلاً إلى درجة أنّ من عايش تلك الفترة لم يكن يلحظ تمييزاً مفتعلاً بين النخبة والناس العاديين في ملامحهم وملابسهم وحياتهم العامة.

لقد شكّل هذا التفاعل والتلاحم أولى مداخل الحضارة؛ فالتحضّر هو (أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة) بتعبير بن نبي؛ أيْ في أمة مجموعها السلطة والنخبة والعامة؛ إذْ ليس من السهل أنْ يتحرر الإنسان من الآخر وهو بحاجة إليه، وليس من السهل أيضاً أنْ يعيش الإنسان في جماعة بينما هو في غنىً عنها بعلومه ومعارفه ومناصبه، كما هو الشأن مع نخبة اليابان.

نذهب إلى القول: إنّ التعلّم المتفائل كان السر في أنّ الإنسان الياباني حافظ على معهوده الحضاري، على الرغم من عزلته عن الحضارات الكبرى؛ لأنّ التعليم فعلٌ حضاريٌّ تفطَّنت له اليابان في فترة مبكِّرة لم تقف العزلة عائقاً أمامه. إنّ التعليم فعلٌ حضاريٌّ يستجلب العلم والتكنولوجيا، على نحو ما يستخلص ابن خلدون: (الحضارة هي سر الله في حصول العلم والصنائع.) وما ذلك إلا لأنّ الفعل الحضاري (اقرأ) يتضمن بداخله نجاح استخلاف الإنسان في الأرض. لقد كانت اليابان في فترة العزلة تستورد ألف كتاب صيني في السنة.

إنّ التحضر بخلاف البداوة هو عملية إنسانية مركَّبة تستوعب الطبقات والفوارق، وتستقطب المهارات والخوارق. وهو طريق حضاري ظلّ يتكشَّف للإنسان الياباني يوماً بعد آخر.

٢- الأرض

لم تكن أمام اليابانيين غير الأرض؛ فنظام توكوغاوا كان يعد الأرض وما عليها هي أساس استقراره واستمراره. كما كان يُنظَر إلى الأرض بوصفها مورداً ماليّاً واقتصاديّاً كافياً للحفاظ على الاستقرار السياسي في ظل التعاون ومضاعفة الوقت؛ إذْ إنّ فكرة التعاون هي الشرط الأساس في تمرير المشروعات الإنمائية وقبولها لدى نظام توكوغاوا.

لم يتحقّق للأرض اليابانية أن توحّدت مثلما حصل لها في عصر توكوغاوا الإقطاعي. فالأرض لا تحتاج فقط إلى من يحارب على أسافلها وأعاليها، وإنما

تحتاج أيضاً إلى من يجعلها قاعدة للإنتاج والتفوق على الآخر، وأنْ تكون عنصراً حضاريّاً فاعلاً في عملية التحولات الإقليمة والعالمية الكبرى. فالإقطاع في مرحلة متقدمة من العزلة تعايش مع العمران البشري والمادي الذي انقاد إلى السياسة؛ فعندما يكثر العمران، يكثر المال وتعظم الدولة وتتعدَّد المدن والحواضر وتعظم المتاجر على نحو ما أبان ابن خلدون.

نعتقد بأنّ إنجازات الأرض اليابانية ترجع إلى عصر ما قبل توكوغاوا العريق؛ فطبيعة الأرض الجبلية ومحدوديتها أوحت لليابانيين باستحضار روح الجماعة والعمل على زيادة محصول الأرض أكثر من مرة في السنة. والأرض أيضاً تحضّرت لما جعلت الإنسان يعيش في جماعة، ومثل هذا يعدّ فعلاً حضاريّاً تمارسه الأشياء على الإنسان؛ فيبدع هو الآخر ويتحضَّر.

٣- الوقت

نعتقد بأن إنفاق الوقت في أمور أخلاقية يكون في مصلحة كل شيء إنساني وإنمائي.

والوقت لدى الإنسان الياباني لم يكن ذلك الزمن المقدّر بالساعات وحسب، وإلا فإنّ العزلة ما كان لها أنْ تحقق إنجازات تاريخية. والوقت ليس أنْ يعيش الإنسان في الماضي فيعكسه على حياته، وإنما الوقت الإضافي في اللحظة الراهنة هو الوقت المقصود به أنّ الأحوال في طريقها إلى التغير.

تكمن أهمية استثمار الوقت في اليابان في أنّه نقلها من ضيق الجغرافيا إلى وُسْع التاريخ، ومن ضيق المكان إلى وسع الزمن، ومن ضيق الزراعة إلى وسع

التكنولوجيا، ومن ضيق الفرد إلى وسع الجماعة، ومن ضيق الفوضى إلى وسع العزلة، ومن وسع العزلة إلى رحابة الانفتاح.

إنّ سر تفوق اليابان أنّها علت على المكان بالزمن، فهي تكاد تختلف تماماً عن الآخرين؛ لأنها في فترة العزلة انشغلت بالوقت فلم ينشغل بها الآخرون حتى خرجت عليهم من ركام العزلة جماعةً متفوقة قابلة لتبادل علومها ومعارفها مع غيرها من غير خجل.

العزلة أيضاً، أفادت من الوقت، وإلا ما كان لها أن تستمر قرنين ونصف، وأنْ تخرج بإنجازات فيها الكثير من المعجزات البشرية التي لا يمكن تفسيرها إلا بمضاعفة الوقت الناجم عن مضاعفة جهد الإنسان. إنّ بذل الجهد هو الذي يجعل الوقت مطواعاً للإنسان الذي إذا تعوّد على نمط من العيش معيّناً لا يرى في مضاعفة الوقت أية مشقّة.

خلاصة لما سبق؛ فإن عناصر الحضارة في عصر توكوغاوا كانت بمثابة مشروع تنمية فيه شيء من التحضُّر، ولكن وصلنا بوصفه مشروعاً مختزلاً استند إلى الأرض التي لم تنزف كثيراً، في الوقت الذي وقف فيه هذا المشروع الإنمائي حبيس متطلبات العزلة. كما ظهر الاختزال في الإنسان الذي كان موجوداً بوصفه عنصراً حضاريّاً إنمائيّاً؛ أي أنه افتقر إلى مقومات الحياة الإنسانية التي جادل فيها أمارتيا صن عن التنمية حرية.

ولكن إذا أمعنا النظر، نلفي أنّ الإقطاعيين كان فيهم شيء من النخبة، وربما كانوا أقدر على إدارة الحكم في وضع لا يقدر عليه نخبة المعابد.

انهارت المعادلة الحضارية في فترة العزلة بعناصرها الفاعلة -الإنسان والأرض والوقت- وإنْ لم تكن متقدِّمة بشكل كبير، ومن ثم، ظلت حبيسة الحضارة القديمة التي بجست تنمية بدوية. وعليه نعتقد بأن الخروج من القديم المتميز إلى الجديد المتقدم، يكون بإضافة عنصر فاعل ونسقي في معادلة الحضارة على نحو ما نناقش.

ثانياً: دينامية التنوير الإمبراطوري (= التنمية المتحضِّرة)

شكَّلت فترة العزلة ثقافة اليابان المتناغمة؛ أما ما بعد العزلة فقد قطفت اليابان نتائج الحضارة عندما ترجمت الثقافة الحضارية إلى علم؛ إذْ (ليس العلم سوى بعض نتائج الحضارة) بتعبير بن نبي. فمن يتعلَّم الحضارة ويكتسب ثقافة متحضرة تحصل له العلوم والمعارف؛ فالعلم (يخلق علاقات بيننا وبين الأشياء).

إنّ القاسم المشترك بين العزلة والانفتاح هو العناصر الحضارية: الإنسان والأرض والوقت؛ إلا أنّ الفارق هو أنّ العناصر الحضارية في فترة العزلة كان فيها شيء من البداوة، ومع ذلك صمَّمت عمراناً بدويّاً ليس بالشكل الذي عاينه ابن خلدون في عهده.

لقد توجَّب على ميجي إعادة الحقوق؛ إذ اضطلعت النخبة الجديدة بهذه المهمة التاريخية، فكان الحوار الحضاري متبادلاً بين النخبة وميجي حول دور الإنسان المركَّب في عملية التنوير أو كيف يتحول التراتب الكونفوشيوسي إلى تراكب يعزز من مكانة الإنسان الياباني.

إنّ تحصيل التركيب من داخل الترتيب كان يستدعي إضافة ميجي نفسه إلى هذا التركيب، فيكون على رأس الترتيب وأسّه؛ فهو العصبية التاريخية والحضارية القوية الغالبة التي أمكنها أن تلغي التصنيف التاريخي وتستجيب للحسبة المنطقية إذا ما أحلناها على ابن خلدون.

١- تأسيس الدولة-الإنسان

تأسَّست الدولة-الإنسان وفق مراحل مدروسة ومشروعة على النحو الآتي:

أ- استعادة شرعية الإمبراطور ميجي واعتباره إنساناً فاعلاً ومحاوراً ومنوِّراً.

ب- القضاء التدريجي على العصبيات المتعدّدة وتحويلها إلى عصبية واحدة مجمع عليها.

ت- إعادة الاعتبار للنخبة.

ث- تحسين وضعية الفلاحين.

٢- تأسيس الدولة-التنمية (=الدولة الإنمائية)

أفرزت الدولةُ-الإنسانُ الدولةَ الإنمائية، ومن إنجازاتها الآتي:

أ- هزيمة الصين؛ فالمتحضرون هم من يكسبون الحرب.

ب-تطوير الساموراي للمنظومة التعليمية .

ت- تطوير القطاعات الزراعية والصناعية والتجارية.

يتضح لنا مما سبق، أنّ الانفتاح كان يتضمّن اللاانفتاح في مسيرة التنوير، كما رأينا كيف كانت العزلة تتضمَّن الشيء الكثير من اللاعزلة. هذا الشيء من اللاانفتاح هو الجانب الياباني المتحضر-الخصوصية والهوية- والقاسم المشترك مع اللاعزلة.

ثالثاً: أهمية الدولة في عملية التركيب الإنمائي الحضاري

في ضوء الإنجازات المتباينة لفترة العزلة المثوِّرة ومرحلة الانفتاح المنوِّرة؛ فإنّ العناصر الحضارية القديمة: الإنسان والأرض والوقت، لا نراها تقود بمفردها إلى الحضارة والتركيب في إطلالتها العصرية، وقد تحبس عند البداوة والاختزال فلا تتجاوزهما؛ لأن التنمية المتبدِّية خوت من الحريات الإيجابية التي أوسع فيها أمارتيا صن، مثل: الحرية الإنسانية، وتنويع الخيارات، والتسهيلات الاقتصادية، والحريات السياسية، والفرص الاجتماعية.

نعتقد به أنّ العناصر الحضارية المركَّبة والمستديمة: الدولة والإنسان والأرض والوقت، تتقصَّد تحصيل تنمية وحضارة؛ لأنّ الدولة دولتان حارستان لكل تنمية وحضارة. ومن ثم نجزم بأنّ التركيب عملية مشروطة لتحصيل تنمية مركَّبة ومستديمة على النحو الآتي:

الحضـــارة = دولـــــــة + إنسان+ أرض+ وقت

الحضـــارة = دولة معنـوية + دولـــــــة مـاديـــة

لا نرى التنمية المتحضِّرة والمركَّبة تنفتح على قيم الإنسان وعقلانيته وتروي أحلامه وتشبع طموحاته؛ إلا بحصول الدولة-الإنسان الرشيدة التي تتصدَّر العناصر الأخرى المفيدة.

رابعاً: مسالك الإفادة من عناصر معادلة الحضارة اليابانية

يخرج الإنسان من عجزه عندما يعرف من هو الآخر فلا يتأخّر عنه ولا يتقدّم نحوه؛ لأن العاجز يتقدم نحو الآخر مرتميّاً بعجزه وفي هذا يكمن تأخّره.

الآخر المنجِز يتقدم بثلاثة عناصر: الإنسان، والأرض، والوقت. وهذه العناصر متوافرة لدى العاجز. والعاجز ليس من لا يستطيع أن يصل إلى ما وصل إليه المنجِز، وإنما هو عاجز عن توظيف العناصر الثلاثة؛ عاجزٌ لأنّ إمكانية الإنجاز مسلوبة منه. إنّ عجزه يكمن فيما سُلِب منه، وهنا يأتي دور الدولة لحمايته من القابلية للمسلوبية.

ومن هنا، فإن مشروع بن نبي سيظل مشروعاً مكدَّساً غير مرصوص إنْ لم تتقدمه الدولة التي تجعل الإنسان والأرض والوقت قيماً غير مسلوبة الحرية والعطاء والإضافة.

١- مقدمات لا بد منها

نعتقد بأنّ سرّ الفشل المتكرِّر، يرجع إلى أن النوايا العملية للاستفادة من النماذج الإنمائية العملية كانت غائبة. علاوة على أنّ استدعاء هذه النماذج الإنمائية لم يكن بدافع التعلُّم من الآخر.

إنّ موضوع استخلاص الدروس والعبر لم يكن له النصيب الأوفر في التعامل مع هذه النماذج؛ لأنّ إثارة موضوع الدروس المستفادة، كانت ستضع البعد الحضاري والإنمائي لهذه النماذج الإنمائية الناجحة في محك السؤال: كيف نجحت هذه النماذج في بيئتها التي هي خلاصة تنميتها؟ إنّ إثارة مثل هذا السؤال كانت ستثير سؤالاً آخر: هل بالإمكان تحقيق هذا النجاح الإنمائي في غياب احترام الإنسان؟

لا شكَّ في أنّ بن نبي قد وفَّر علينا جهداً عظيماً، وهو يحيلنا إلى هذه العناصر الثلاثة التي لا تحصل التنمية إلا بها. ومن ثم، فإنّ عملية استخلاص الدروس نراها مفيدة إذا عالجناها من هذه الزاوية الحضارية؛ لأنّ هذه العناصر الثلاثة هي ما يبقى لدى المستفيد عندما يقوم بعملية تصفية بيئية للنماذج الإنمائية الناجحة؛ فهي عناصر كونية مشتركة. ذلك، لأنّ المستفيد له إنسانه وأرضه ووقته، مثله مثل المستفاد منه.

إنّ ما نستخلصه من بن نبي، سواء أفي أفكاره أم تجاربه، هو أنّ البيئة الإسلامية العربية بيئة غير إنسانية؛ ليس لأنّ الإنسان لا يشعر بوجوده وبحضور إنسانيته وحسب، ولكن لأنّ الفعل الحضاري (=الإبداع) -الذي يجعل منه إنساناً متحضِّراً- عاطلٌ غير فاعل.

٢- ما يفترَض سلوكه

انطلقت التجربة اليابانية من الموروث وأفادت من الأسلاف. ومشروع بن نبي أيضاً يغترف من الموروث ويستفيد من الأسلاف. وهذا هو القاسم

المشترك بينهما؛ بين التجربة والفكرة. وإنّ الذي في نيته الإفادة منهما يفترَض أنْ يسلك مسلكهما.

يتساءل القادة؛ كيف تتغير الدولة من الأسوأ إلى الأحسن؟ ويتساءل النخبة والعامة لماذا تقف الدولة عائقاً أمام التغيير؟ هذه أسئلة لا يفترَض أن تجيب عنها النخبة، بل تجيب عنها السلطة نفسها وصناع القرار؛ لأنهم يمتلكون الخيارات المفتوحة. أما النخبة فمهمتها المساعدة على توسيع دائرة الإجابة.

هناك درسٌ آخر، وهو أن اليابان لم تكن يوماً ما أمة مغلوبة. لماذا؟ لأنّ الآخر يغلبك عندما يسلبك من ماضيك؛ فالغلب لا يحصل إلا بالسلب. والشائع أنّ المغلوب مولع بالغالب في زيه ونحلته وعاداته، ولكن الغالب هو من سلَب المغلوب.

ما هو معلوم، أنّ اليابان التي تصدت للقابلية للمغلوبية لم تسلب إنسانها، بل احترمته في نصوصها وتضايفت معه في مؤسساتها وتراحمت معه حتى لا يؤذيه قانونها الصارم. ومن ثم، لم ينشأ هذا الإنسان سارقاً وخائفاً وجائعاً حتى يدخل من النافذة وليس من الباب؛ لأنه إذا لم يُحترَم الإنسان ويُحرَم ، تأتي أفعاله ضيِّقة بضيق الفتحة التي دخل منها.

إذاً، مشكلة جميعهم هي مشكلة سلطة، ليس لأنّ السلطة هي من يعلي البناء وحسب، ولكن السلطة هي من بيدها حل مشكلة احترام الإنسان.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

سلسلة مختصرات الكتب الصادرة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي:

هي مجموعة قيّمة من أبرز منشورات المعهد، تم إعدادها بصيغة مختصرة لتقديم فهم جوهري لمضامين الأعمال الأصلية بطريقة مبسّطة ومركّزة، لتناسب القارئ العام والباحث المتخصص على حد سواء.

هذا الكتاب

يقدم في قسمه النظري، إضافة نوعية على مستويات عدة، بدءاً بالمصطلحات التي لم يسبق أن نسجت من قبل، لاسيما التنمية المركَّبة في مبناها الإنساني والقيم في مبتغاها الإنمائي. وقد بنى المؤلف كتابه هذا على أفكار كتابه الأول الموسوم بـ: دينامية التجربة اليابانية في التنمية المركَّبة؛ فلا يسبر غور هذه الدراسة إلا بالإحاطة بما حواه الكتاب الأول؛ وإذ بنيت أساسات وقد أفادت هذه الدراسة من الاجتماع الإنساني الياباني المركَّب من السلطة والعامة والنخبة؛ إذ جاء هذا التركيب الياباني تركيباً إنسانياً إنمائياً لا يحتمل الاختزال، بخلاف ما يجري في العالم العربي والإسلامي من تفكك إنساني، يمهد إلى التفكك الإنمائي بفعل القابلية للمغلوبية.

وفي القسم التطبيقي، توسلت الدراسة بالمربَّع السيميائي للبرهنة على أن التنمية المركَّبة تتضاد مع التنمية المختزَلة وتتناقض. وفي جانب آخر من التطبيق، فقد محّصت الدراسة فكرةَ ابن نبي الحضارية (الإنسان والأرض والوقت) داخل خبرة ميجي اليابانية، لكن ميجي أضاف عنصر دولة المؤسسات إلى العناصر الثلاثة فباتت أربعة، نقلت يابان البداوة الى منطقة الحضارة.

ناصر يوسف

من مواليد عين البرد، مدينة سيدي بلعباس، الجزائر. حصل على شهادة الليسانس في العلوم الاقتصادية من جامعة تلمسان، عام ١٩٩٢م، وعلى شهادة الماجستير من جامعة بوترا ماليزيا، عام ٢٠٠٤م، وعلى شهادة الدكتوراه في اقتصاد التنمية المقارن من جامعة ملايا بماليزيا، عام ٢٠٠٨م.

باحث في الاقتصاد السياسي، ومهتم بالبحث في العلاقة بين التنمية والقيم. يعمل حالياً باحثاً ومحرراً ومشرفاً بمركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. صدر له كتاب بعنوان: "دينامية التجربة اليابانية في التنمية المركَّبة: دراسة مقارنة بالجزائر وماليزيا" عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عام ٢٠١٠م.

ISBN 979-8-89193-235-7